

Samir Nouh: The Story of Islamic Fundamentalism

Translation and commentary by
Salah Osman

(Menoufia University, Egypt)
salah.mohamed@art.menofia.edu.eg

خُرافة الأصولية الإسلامية^(١)

للأستاذ الدكتور / سمير نوح^(٢)

ترجمة وتعليق / أ. د. صلاح عثمان^(٣)

اسمحوا لي في البداية أن أتوجه بالشكر للبروفيسور «سوسومو فوجيتا»^(٤)، Susumu Fujita، والبروفيسور «أكيرا أوسوكي»^(٥) Akira Usuki، والبروفيسور «كيوكو ساكاي»^(٦) Kioko Sakai، والبروفيسور «ميزفينسكي»^(٧) Mezvinseky، وجميع الذين ساهموا في تنظيم ورشة العمل هذه في رحاب جامعة طوكيو للدراسات الأجنبية Tokyo University of Foreign Studies. إنه لشرف كبير لي أن أتلقى دعوتكم للتواجد بين هذا الجمع الطيب من العلماء والأساتذة المميزين. في العام ٢٠٠١ قرأت العمل العظيم للبروفيسور «نورتون ميزفينسكي» Norton Mezvinseky عن «الأصولية في إسرائيل» Fundamentalism in Israel، بمشاركة «إسرائيل شاحاك»^(٨) Israel Shahak. واليوم تغمرني السعادة بلقائه والتعلم منه.

أود أن أتطرق بإيجاز، وانطلاقاً من تحليلي الخاص، إلى بعض النقاط الرئيسية التي ترتبط بالأوراق البحثية المقدمة اليوم.

ليس من السهل شرح تعبير «الأصولية الإسلامية»^(٩)، لأنه - فيما أعتقد - تعبير لا علاقة له بالمسلمين؛ لأننا إن تحدثنا عن إسلام أصولي، فمعنى ذلك أن لدينا إسلاماً غير أصولي. من المؤكد أن بين المسلمين من يؤمنون بالمبادئ الأساسية للإسلام، وأن من بينهم من لا يؤمنون بها. وبنظرة سريعة إلى العالم المسلم - ماضيه وحاضره - يتضح لنا أنه لا يوجد، ولم يوجد، بين المسلمين مجموعة أو فرقة تُسمى نفسها «أصولية». والحق أنني لا أعرف أية مجموعة أو فرقة إسلامية تُطلق هذا الاسم على مجموعة أو فرقة أخرى. لذا فإن ما نراه اليوم لا يخرج عن أن بعض رواد العلمانية من الغربيين والأمريكيين قد نظروا إلى الإسلام أو إلى بعض المجموعات الإسلامية من خلال صورة الأصوليين في مجتمعاتهم. هكذا يبدو أنه ما من أحد في العالم الإسلامي يستحضر اسم «الإسلام» خارج المساجد إلا وسُمى «أصولياً إسلامياً»، وكلما وحيثما وُجدت مجموعة إسلامية تُصارع من أجل بقائها أو حقوقها الإنسانية الأساسية أُطلق عليها «أصولية إسلامية».

ومن بين الذين وُصفوا بأنهم أصوليون إسلاميون يمكن أن نشير إلى جماعة الإخوان المسلمين^(١٠) (MB) Al-Ikhwa al Muslimin، وحكومة إيران ما بعد الثورة^(١١) (Government of Post Revolution Iran)، والجماعة الإسلامية في باكستان^(١٢) (JI) Jamaat-e-Islami Pakistan، وحزب الله في جنوب لبنان^(١٣) (Hezbollah in Southern Lebanon)، وحركة حماس في فلسطين^(١٤) (Hamis in Palestine)، وحركة طالبان في أفغانستان^(١٥) (Taliban) (المجاهدين Mujahedin سابقاً) ... إلخ. وعلى أية

حال، نستطيع القول أن العالم الإسلامي قد شهد عددًا من حركات الصحوة الإسلامية، تلك التي ينبغي عدم الخلط بينها وبين عمليات مثل اختطاف طائرة أو تفجير مركز التجارة العالمي World Trade Center، أو حتى الانتفاضة الفلسطينية Palestinian Intifadah.

هنا أجد نفسي مضطراً إلى استخدام التعبير ذاته؛ أعني «الأصولية»، الذي يعني في تطبيقه الأصلي شخصاً يعتقد في أصول الدين. وبهذا المعنى فإن كل مسلم هو شخصٌ أصولي يؤمن بالقرآن ويؤمن بأحاديث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)؛ فكل أيديولوجية، سواء أكانت دينية أو اقتصادية أو سياسية أو غير ذلك، تقوم على مبادئ أساسية معينة، وكذلك الإسلام^(١٦).

السؤال الذي يجب أن نطرحه هنا هو التالي: هل يتبنى الأصوليون المسلمون اعتقاداً دوجماتيقياً بذات المعنى الذي نجده لدى الأصوليين في اليهودية أو المسيحية؟ (أنظر إلياس بايونس: أسطورة الأصولية الإسلامية، جامعة ولاية نيويورك في كورتلاند).

وقبل أن أبدأ في الإجابة، أشير هنا إلى ما كتبه البروفيسور «نورتون ميزفينسكي» في كتابه المشترك مع «إسرائيل شاحاك» عن الأصولية اليهودية (المنشور سنة ١٩٩٩): «نحن ندرك أننا بانتقادنا الأصولية اليهودية إنما ننتقد جزءاً نحبه من الماضي، ونرغب في أن يقوم أعضاء كل تجمع إنساني بانتقاد ماضيهم الخاص».

الحق أن تطبيق المصطلح ذاته (أعني مصطلح الأصولية) على المسلمين ليس منصفاً ولا صحيحاً، لأننا في حالة الإسلام نجد أن كل المسلمين يؤمنون بالقرآن بوصفه المعتقد الإسلامي الأساسي، ومن ثم فإن على وسائل الإعلام أن تستخدم كلمة أصولي للدلالة على جميع المسلمين، وهي في الحقيقة لا

تفعل ذلك، بل تستخدم الكلمة للدلالة على الجماعات المتطرفة والإرهابية من جهة، وحركات الصحوة الإسلامية المعتدلة من جهة أخرى.

ولو نظرنا إلى هذين التعريفين لوجدناهما غير متوافقين إزاء بعضهما البعض؛ قد يكون استخدام كلمة أصولية مقبولاً بالنسبة للطائفة الأولى، لأن التعريف هنا يبدو مماثلاً للتعريف الغربي، لكن استخدام الكلمة لوصف الجماعات الثانية غير مقبول تماماً. إن هذا التعريف المزيج غير منصف بالمرّة للعقيدة الإسلامية.

أمل أن نكون أكثر حذراً حين نستخدم كلمة أصولية لوصف كل الحركات الإسلامية أو أية حركة إسلامية، لأن كل حركات الصحوة الإسلامية تقريباً في الماضي وُصفت بأنها حركات أصولية، سواء أكانت متطرفة أو معتدلة.

(أنظر ماكسود أفتاب: البشير الإسلامي، ماذا تعني الأصولية حقاً؟)

Macksood Aftab: The Islamic Herald, What Does Fundamentalism Really Mean?

والحق أن أكبر حركتين من الحركات التي تتبنى العودة إلى الإسلام في العصر الحديث، وهما حركة الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية، قد انطلقتا أساساً من هدفٍ مُعلنٍ مؤداه بناء الإسلام من خلال الوسائل السلمية، لأن المسلم الورع لا يمكن أن يكون متعصباً أو منظرًا.

هكذا كانت حركة الإخوان المسلمين تهدف أساساً إلى الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي استناداً إلى تعاليم الإسلام، ونظرًا للعديد من الأسباب التي لا مجال لذكرها، تحولت منذ سنة ١٩٣٩ إلى حركة سياسية^(١٧).

وفي الهند، تأسست الجماعة الإسلامية انطلاقاً من الهدف ذاته، أعني الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي استناداً إلى الإسلام، لكنها تحولت بعد

التقسيم^(١٨) إلى جماعة سياسية (تشبه جماعة الإخوان المسلمين في مصر) ترفض أي نوع من أنواع العنف. وحين بدأت جماعة الإخوان المسلمين في مصر استخدام تكتيكات الجماعة الإسلامية في باكستان، مُعولة على الوسائل السلمية، ورفض العنف، والمشاركة في الانتخابات البرلمانية، تمكنت من الفوز بعدد من مقاعد البرلمان يمثل تكتلاً هاماً، رغم كونها جماعة غير شرعية (محظورة)^(١٩).

لكننا نلاحظ أن هناك عدة أشكال من الأصولية المرتبطة بحركات الصحوة الإسلامية في آسيا وأفريقيا، والتي أصبحت نقطة محورية في النشاط السياسي. وإذا ما نظرنا إلى التطورات السياسية في الدول الإسلامية، خصوصاً في منطقة الشرق الأوسط، لوجدنا أنها من صنع السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية؛ فهي الراعي والمنظم والمُسلح والمُحرض لكافة أشكال الأصولية الإسلامية الحديثة، حيث قام قسم العمليات الخاصة بوكالة المخابرات الأمريكية والبنّاجون بتمويلها بالمبالغ الضخمة، فضلاً عن تقديم المساعدة في صياغة استراتيجية المتطرفين الدينيين المسلمين وتدريبهم.

وكمصري عاش في باكستان لمدة خمس سنوات، كنت قريباً جداً من جماعة الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية والمدارس التي أنتجت أولئك الذين شكلوا فيما بعد حركة طالبان. وأستطيع القول دون أي تردد أن المتطرفين الدينيين المسلمين قد وجدوا صعوبة في الحصول على قاعدة دعم في مجتمعاتهم؛ لم يكن لديهم خيار سوى البحث عن مأوى في الولايات المتحدة والدول الغربية. لقد فرَّ كثيرٌ منهم من مصر وعاشوا في أوروبا وأمريكا تحت مظلة ما يُسمى الديمقراطية وحرية التعبير. وما مأساة أفغانستان إلا مثال واضح لخلق مجموعات من المتطرفين الدينيين المسلمين أو الأصوليين المسلمين. لقد كانت أكبر عملية سرية قامت بها الولايات

المتحدة وهذه الجماعات في أفغانستان، ومن المعروف جيداً أن وكالة الاستخبارات الأمريكية قد رعت ما عُرف باسم «الجهاد» (Jehad) (الحرب المقدسة Holy War)، وقد شاركت المملكة العربية السعودية وباكستان بشكل رئيس في هذه العملية.

وقبل طالبان، رفض الأفغانيون أنفسهم إقامة ما عُرف بالإمارة الإسلامية Islamic Emirate في مقاطعة كونار Province of Konnar، حيث قُتل العديد من العرب، ونشرت الصحف الأفغانية والباكستانية، وكذلك الصحف البشتوية Pashto، العديد من المقالات التي تنتقد دور المملكة العربية السعودية والمقاتلين العرب في أفغانستان. وكنتيجة لذلك، أنهت المملكة العربية السعودية مهمتها، وأغلقت مكاتبها في بيشاور Peshawar وغيرها من الأماكن القريبة من الحدود الأفغانية. إذن، لقد رفض المجتمع الأفغاني مثل هؤلاء الناس الذين تم زرعهم في بلادهم من قبل الولايات المتحدة والحكومة الباكستانية، وتم الاستيلاء على كابول Kabul سنة ١٩٩٦ بعد صفقة سرية بيننا وبين باكستان وحركة طالبان، وهي الصفقة التي تمت برعاية وكالة الاستخبارات الباكستانية. بل لقد شملت رعاية وكالة الاستخبارات الأمريكية الرجل الأول ذاته في تنظيم القاعدة: «أسامة بن لادن»^(٢٠) Osama Bin Laden؛ ففي مقابلة أجرتها معه وكالة فرانس برس AFP في السابع والعشرين من أغسطس سنة ١٩٩٨، اعترف «أسامة بن لادن» بأنه أقام أول معسكر له في باكستان، حيث تولى الضباط الباكستانيون والأمريكيون مهمة تدريب المتطوعين، وتم تزويدهم بالسلح من قبل الولايات المتحدة، وبالمال من قبل السعودية (أنظر: خطر الأصولية الإسلامية ونفاق الإمبريالية، ترجمة نجيب المحجوب):

Lal Khan Pakistan, October 2000.

وباختصار، أود القول أن المتطرفين الدينيين المسلمين، أو من تدعوهم وسائل الإعلام الغربية بالأصوليين الإسلاميين، قد فشلوا في تطوير قاعدة اجتماعية جماهيرية في معظم البلدان الإسلامية. لقد ظهروا في مصر إبان فترة حكم «السادات»، لكنهم سرعان ما اختفوا في عهد «مبارك» تحت تأثير السياسة الجديدة للحكومة.

وبفضل سياسة الحكومة، فقدت حركات مثل «جماعة المسلمين» (التكفير والهجرة Attakfir Wal Hijra)^(٢١) والجهاد^(٢٢) أي نوع من أنواع الدعم من قبل الطوائف المختلفة للمجتمع المصري، وأعلنت قيادة الجماعة الإسلامية وهيئتها العليا (في ربيع ١٩٩٩) تخلي الجماعة عن الكفاح المسلح (أنظر سمير نوح: حالة التيارات الإسلامية المعاصرة في مصر بالمقارنة مع حالة الهند وباكستان، أريان، طوكيو، مارس ٢٠٠٥).

Samir Nouh, *Contemporary Islamic Trends Case of Egypt Compared with the Case of India and Pakistan*, Arian, March 2005, Tokyo.

الأصولية التي ناقشها اليوم بعيدة تمامًا عن مبادئ الإسلام، فما رأيناه في أفغانستان أو في أي مكان آخر هو ظاهرة سطحية ومؤقتة. في المملكة العربية السعودية، حيث قضيت سبع عشرة سنة أقوم بالتدريس في جامعة الإمام في الرياض، وحيث ارتبطت المدينة بمكان مؤسس حركة تُعرف باسم الوهابية^(٢٣) Wahabi، نستطيع أن نرى تغييرًا سريعًا في اتجاهات القيادة الدينيين، وإن كان هناك بطبيعة الحال قلة ممن لا يزالون يرفضون التصالح مع الحاضر، ويبدلون الجهد في تضيق الخناق على المسلمين وغير

المسلمين داخل وخارج البلاد. لكن السياسة الحالية للحكومة السعودية من شأنها ألا تتيح للمتطرفين أي موضع في البلاد مستقبلاً.

في مصر، أظهرت نتائج الانتخابات الأخيرة أن جماعة الإخوان المسلمين قد تغيرت؛ لقد شارك أعضاؤها في الانتخابات العامة، وفازوا فيها بكتلة كبيرة من المقاعد البرلمانية، وتم امتصاص جماعة الإخوان المسلمين في الحياة السياسية وفقاً لرؤية أكثر عقلانية، ونمط معتدل للنظام السياسي تسوده روح التسامح (مصطفى الفقي، رئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشعب: ماضي وحاضر الإسلام السياسي، الأهرام ويكلي، ٣ يناير ٢٠٠٦).

Mustafa El Fiqi, (Chairman of Foreign Affairs Committee at People's Assembly): Past and Present of Political Islam, Al- Ahram Weekly, January 3, 2006.

أعتقد أن الحكومة المصرية قد استفادت من دولة مثل الأردن، حيث تم احتواء التيارات الإسلامية الرئيسية في النظام، كخيار سلمي لامتناص الحركة الجهادية Jihadist، لقد تعلمت الحكومة الدرس، فلن يكون بوسعنا أن نؤسس لعملية سياسية صحية دون أن يكون للتيار الإسلامي دور فيها، إذ يمثل الإسلاميون أصواتاً قوية في الحياة السياسية للبلاد.

Reporter, National Catholic Islamic Fundamentalism Feared, Misunderstood Oct. 8, 2004.

إن ما يُعرف بالأصولية الإسلامية يختفي، ولا يمكن أن يظهر كاتجاه في العالم الإسلامي. ربما رأينا بعض الزعماء الدينيين يفسرون الإسلام بطريقتهم الخاصة، مستفيدين من الغزو الأمريكي واحتلال العراق، فالمجتمع العراقي تتم أسلمته بطريقة خاصة من الداخل بسبب الاحتلال الأمريكي للعراق.

دعنا نلقي نظرة على الحالة الفلسطينية والموقف من حماس بعد الانتخابات الأخيرة، حيث نلمح تغييراً كبيراً. لقد وصفت وسائل الإعلام الغربية حماس بأنها منظمة إسلامية أو إرهابية، لكن حين تم السماح لحماس بالمشاركة في الحياة السياسية تغير الحال، ربما ليس بشكل كامل، لأن الأمر يستلزم وقتاً بعد أن سنحت لها الفرصة لتكون حركة معتدلة ومسؤولة (فهمني هويدي: جريدة الشرق الأوسط، ٢٥ يناير ٢٠٠٥). ومن المعروف أن حركة حماس كانت مدعومة بقوة من قبل الإسرائيليين كصمام أمان ضد منظمة التحرير الفلسطينية P.L.O. لذا نحن نواجه حركات سياسية، أو فانقل نواجه متطرفين يستغلون الدين كغطاء. أعتقد أن حماس الحركة ليست هي حماس الحكومة، وكما تحدث الإسرائيليون مع فتح Fatah سوف يتحدثون مع حماس؛ فقبل خمسة أيام، وبالتحديد في الثلاثين من يناير ٢٠٠٦، عقدت المخابرات الإسرائيلية لقاءً مباشراً لمدة ساعتين مع قادة من حماس لمناقشة المسائل المستقبلية، وهو ما صرحت به القناة الثانية بالتلفزيون الإسرائيلي. وفي الوقت ذاته، كتب خالد مشعل Khalid Mashaal (رئيس المكتب السياسي) في مقال له بصحيفة الجارديان البريطانية أن حماس تمد يد السلام لأولئك الذين يريدون السلام حقاً، مضيفاً أن حماس مستعدة لإجراء محادثات مع إسرائيل (BbcArabic-com 31st, Jan 2006). وأعتقد أنه بمجرد حل المشكلة الفلسطينية فإن الأصولية في لبنان سوف تتلاشى وتموت.

إن الأصولية الإسلامية، إن حدثت وظهرت، فسوف تختفي سريعاً، لأنها لا جذور لها داخل تربة الإسلام.

تعليقات المترجم

(١) العنوان الأصلي للمقال: خرافة الأصولية الإسلامية، مجلة مركز الشؤون الخارجية، جامعة طوكيو للدراسات الأجنبية، طوكيو، ٢٠٠٦، نُشر باللغة اليابانية مترجمًا عن الإنجليزية.

Samir Nouh, 'The Story of Islamic Fundamentalism', *Published in the Bulletin of the Institute of Foreign Affairs (Quadrant, Areas, Cultures and Positions), Institute of Foreign Affairs, Tokyo University of Foreign Studies, No 8, March 2006, pp.49 – 54. (International Symposium at Tokyo University of Foreign Studies on Religion and Fundamentalism, March 2006).*

(٢) الأستاذ الدكتور سمير عبد الحميد نوح: أستاذ اللغات الشرقية وآدابها ونائب مدير مركز دراسات الأديان التوحيدية CISMOR بجامعة دوشيشا Doshisha، كيوتو Kyoto، اليابان. وُلد سنة ١٩٤٦ بمحافظة الشرقية بمصر، وحصل على درجة الدكتوراه في اللغة الأردية وآدابها من جامعة البنجاب بباكستان سنة ١٩٧٨. عمل أستاذًا بجامعة كيوتو ودوشيشا اليابانيتين، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، وترأس المشروع الأول (العلاقات الأمريكية اليابانية، وأثرها على العلاقات اليابانية الشرقية أوسطية) بالمركز الدولي للدراسات الأمريكية IIAS بجامعة دوشيشا في الفترة من إبريل ٢٠٠٩ – إبريل ٢٠١٢. له نشاط بارز في العديد من المؤتمرات والندوات على الصعيد الدولي، وله ما يقرب من خمسين كتابًا (ما بين تأليف وترجمة) تشمل كافة

- مجالات اللغات الشرقية والفكر الإسلامي، فضلاً عن العديد من المقالات والأبحاث. يدور مشروعه البحثي الحالي عن المشترك الثقافي والحضاري بين الأديان (الإسلام والشتوية والبوذية).
- (٣) الأستاذ الدكتور صلاح عثمان: أستاذ المنطق وفلسفة العلم، رئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب، جامعة المنوفية.
- (٤) سوسومو فوجيتا Susumu Fujita: أستاذ تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر بكلية الدراسات الخارجية Faculty of Foreign Studies بجامعة طوكيو للدراسات الأجنبية.
- (٥) أكيرا أوسوكي Akira Usuki: أستاذ تاريخ الشرق الأوسط والعالم العربي بقسم التاريخ بكلية العلوم الإنسانية Faculty of Humanities بجامعة اليابان للنساء Japan Women's University.
- (٦) كيوكو ساكاي kioko Sakai: أستاذة سياسات الشرق الأوسط الحديث والسياسات الإيرانية بجامعة طوكيو للدراسات الأجنبية.
- (٧) نورتون ميزفينسكي Norton Mezvinseky: مؤرخ وأستاذ فخري أمريكي بجامعة ولاية كونيتيكت المركزية، ورئيس المجلس الدولي لدراسات الشرق الأوسط بواشنطن. من مواليد سنة ١٩٣٢. له العديد من الكتب والمقالات التي تتناول مختلف جوانب الصراع العربي الإسرائيلي والصهيونية Zionism، من أهمها: «الاختلاف في التعريف: ثلاثة آراء للجالية اليهودية الأمريكية في القرن العشرين» Disagreement in Definition: Three Views of the American Jewish Community in the Twentieth Century (١٩٥٦)، «الصهيونية اليهودية في إسرائيل» Jewish Fundamentalism in Israel بالاشتراك مع إسرائيل شاحاك (٢٠٠٤).

(٨) إسرائيل شاحاك (١٩٣٣ - ٢٠٠١): إسرائيلي بولندي. وُلد في وارسو ببولندا، وهو من الناجين من الهولوكوست. عمل محاضرًا في الكيمياء في الجامعة العبرية في القدس المحتلة. وهو رئيس سابق لإحدى الجمعيات الإسرائيلية المعنية بحقوق الإنسان والحقوق المدنية. عُرف عنه نقده الصريح للحكومة الإسرائيلية وللمجتمع الإسرائيلي على وجه العموم، كما أن كتاباته حول اليهودية أثارت الكثير من الجدل، وقد اتهمه البعض على إثر ذلك بمعاداة السامية.

(٩) الأصولية في الإنجليزية Fundamentalism، اصطلاحٌ سياسي فكري يشير إلى نظرة متكاملة للحياة بكافة جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، نابعة عن قناعة متأصلة نابعة عن إيمانٍ بفكرةٍ أو منظومة قناعات، تكون في الغالب تصورًا دينيًا أو عقيدة دينية. ترجع الكلمة إلى عنوان سلسلة نشرات أو كتيبات سميت الأصول أو الأساسيات، ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة من سنة ١٩١٠ إلى سنة ١٩٢٠، واستخدم فيها مصطلح الأصول ليعنى إعادة تأكيد المبادئ اللاهوتية الأساسية من خلال النص كوحي وسلطة، والدفاع عنها ضد تحديات اللاهوت التحرري. وتعني الأصولية بمفهومها الحديث (المؤرخ له بظهور الحركة الأصولية الانجليكانية في بدايات القرن العشرين) العودة إلى الاحتكام بالشرائع الدينية، كرد فعل على التقدم المدني الذي رافق العلمانية. وقد استخدم اليهود الكلمة لأول مرة العام ١٧٩٥ في وصف معارضيهم من اليهود التلموديين، وكانت تعني عندهم التزمت والتطرف. وقد قبل التلموديون هذا الوصف وإن كانوا يطلقون على أنفسهم اسم «اليهودية المصدقة للتوراة». ويفرق الأدب الديني اليهودي اليوم بين الأصولية

(الأرثوذكسية) والأرثوذكسية المتطرفة (هَرَدِيم بالعبرية)، إذ تطلق صفة الأرثوذكس على اليهود الذين يعترفون بالصهيونية وبدولة إسرائيل، وأغلبهم من أنصار الصهيونية العالمية مثل حزب المفدال (الحزب الديني القومي). أما صفة الأرثوذكسية المتطرفة فتطلق على الذين لايعترفون بالصهيونية العلمانية مثل حزب «أغودات ישראל» وحركة «نطوري كرتا» (حراس المدينة) وحزب «شاس» وغيرها. وتتمثل «الأصولية» اليهودية اليوم، على اختلاف اتجاهاتها، في دولة إسرائيل التي يعد الإرهاب عنصراً أساسياً في بنيتها ووظيفتها. أما في العربية، فالأصولية مشتقة من «الأصل»، وهو قاع الشيء وما يبنى عليه غيره، سواء أكان حسيًا، كالأساس الذي يُشيد عليه البناء فهو أصله، أو عقليًا كبناء الأحكام الجزئية على القواعد الكلية. والأصولية اصطلاحًا من «الأصول» المتعلقة بعلوم الدين. ويطلق لفظ «الأصول» على مصطلحات مختلفة أشهرها ما يدل على ثلاثة من العلوم الإسلامية هي: أصول الدين وأصول الحديث وأصول الفقه. ويسمى علم أصول الفقه، غالبًا، علم الأصول، ويعرّف بأنه العلم بقواعد الفقه الإسلامي، وبالادلة التي تؤدي إلى تقرير الأحكام الشرعية وبمناهج استنباطها. أما مصطلح الأصولية الإسلامية Islamic Fundamentalism ، فقد استُخدم لأول مرة في التسعينات من القرن الماضي لوصف ما يُعرف اليوم بالإسلام السياسي؛ ففي سبتمبر من سنة ١٩٩٤، عُقد في واشنطن مؤتمرًا عالميًا تحت عنوان «خطر الإسلام الأصولي على شمال أفريقيا»، وكان المؤتمر عن السودان، وما وصفه المؤتمر بمحاولة إيران تصدير الثورة الإسلامية إلى أفريقيا عن طريق السودان. بعد ذلك تدريجيًا وفي التسعينيات، وفي خضم الأحداث الداخلية في الجزائر، تم استبدال هذا المصطلح بمصطلح

«الإسلاميون المتطرفون»، واستقرت التسمية بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ على الإسلام السياسي. ومنذ ذلك الحين يثير مصطلح «الأصولية الإسلامية» الكثير من الجدل، إذ لما كانت العقائد في الإسلام، ثابتة بطريق قطعي هو القرآن الكريم، فإن الآراء المتباينة في العقائد تسمى «مذاهب». وأتباع كل مذهب يعتقدون أن مذهبهم صواب يحتمل الخطأ، ومذهب غيرهم خطأ يحتمل الصواب. والغلاة في كل مذهب يعتقدون أن مذهبهم صواب لا يحتمل الخطأ، ومذهب غيرهم خطأ لا يحتمل الصواب. ويوصف هؤلاء وأولئك بالأصوليين، مع فارق التعصب والغلو. ويرى بعضهم أن الحق يتعدد في المسائل الاجتهادية، أما الحق في المسائل الاعتقادية فواحد لا يتعدد، وكل ما سواه باطل. لذلك أدى الاختلاف في أمور العقائد إلى تعدد المذاهب وتفرق الفرق في جميع الأديان بلا استثناء. ولكل مذهب أصوله وأصوليوه، ومن ثم فكل المسلمين أصوليون بهذا المعنى، لا بالمعنى اليهودي أو المسيحي المنطوي على نزعة التعصب أو استخدام العنف. من جهة أخرى، لا تقتصر الأصولية، على الأديان والمذاهب الدينية، بل تتعداها إلى المذاهب الفكرية والأيدولوجيات والنظريات السياسية، ومن هذه الأصوليات «الأصولية العلمانية» التي تجعل من العلمانية مذهباً إلهادياً غالباً، بينما هي في الحقيقة موقف منفتح إزاء مسائل المعرفة ومسائل الواقع والتاريخ، فهي تحوّل ما ليس مذهباً إلى مذهب أو إلى أيدولوجية. ومنها أيضاً «الأصولية الوضعية» التي تزعم أن بوسع العلم حل جميع المسائل والمشكلات التي تعترض الحياة الإنسانية، وأن ما لا يمكن للعلم أن يقيسه ويختبره ويتوقعه هو شيء غير موجود، وبهذا تستبعد أرفع أبعاد الحياة كالإيمان والحب والإبداع الفني والحلم، وتتجاهل الوجه القبيح للتقدم الذي يتجلى في تشيؤ الإنسان وتدمير

البيئة واحتكار الثروة والقوة. وفي هذا السياق يمكن الحديث عن أصوليات عنصرية أخرى، كذلك التي قامت عليها النازية في ألمانيا، والصهيونية العالمية، وأصوليات «إثنية» قومية نشطت بعد تفكك الاتحاد السوفيتي والاتحاد اليوغسلافي. كما تجدر الإشارة إلى المكارثية، في الولايات المتحدة الأمريكية، التي كانت نوعاً من «محاكم التفتيش»، حيث أخذت على عاتقها ملاحقة المفكرين والمتقنين والسياسيين المعارضين لأيديولوجية الولايات المتحدة الأمريكية وسياساتها، وتصفيتهم، ولاسيما في مرحلة الحرب الباردة.

(١٠) الإخوان المسلمون Brothers Muslim: جماعة تمثل أهم الحركات الإسلامية المنظمة منذ تأسيسها في مصر سنة ١٩٢٨ على يد «حسن البنا» وحتى يومنا هذا. كانت ولا زالت تمثل أهم حركة معارضة سياسية في كثير من الدول العربية والإسلامية. تتسم الجماعة بقوة التنظيم الإداري والقدرة على تكوين قواعد شعبية داعمة ومؤثرة في الداخل والخارج، ووفقاً للتدرج التنظيمي لها يحتل المرشد العام المرتبة الأولى باعتباره رئيساً لها ورئيساً لمكتب الإرشاد العام ومجلس الشوري العام، ويتم تنصيبه لمدة ست سنوات بالانتخاب عن طريق مجلس الشورى بشرط مرور خمس عشرة سنة هجرية على انضمامه للجماعة وانتظامه «أخاً عاملاً»، وعلى ألا يقل عمره عن أربعين سنة هجرية. أما مكتب الإرشاد العام (ويتألف من ستة عشر عضواً بخلاف المرشد) فهو الهيئة الإدارية والقيادة التنفيذية العليا للإخوان المسلمين، وهو المشرف على سير الدعوة والموجه لسياستها وإدارتها. ويتم اختيار أعضائه عن طريق الاقتراع السري، ومدة العضوية فيه محددة بأربع سنوات هجرية. وأما مجلس الشورى العام (أو الهيئة التأسيسية) فيتألف من خمسة وسبعين عضواً على الأقل، وتسعين عضواً على الأكثر، يتم اختيارهم

بالاقتراع السري من بين أعضاء مجالس شورى المحافظات. ويمثل مجلس الشورى السلطة التشريعية للجماعة، وقراراته ملزمة، ومدة ولايته أربع سنوات هجرية، وتتضمن مهامه الإشراف العام على الجماعة وانتخاب المرشد العام. وقد استطاعت الجماعة بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١، وبفضل قوتها التنظيمية ونشاطاتها الدعوية والخدمية، ومن خلال حزب الحرية والعدالة الذي قامت بتأسيسه في السادس من يونيو ٢٠١١، أن تهيمن على الحياة السياسية في مصر؛ بدءاً من مجلسي الشعب والشورى، ومروراً باللجنة التأسيسية للدستور الجديد، ووصولاً إلى منصب رئيس الجمهورية الذي فاز به الأستاذ الدكتور «محمد مرسى عيسى العياط» (من مواليد سنة ١٩٥١ بمحافظة الشرقية) بعد أول انتخابات تشريعية تنافس فيها على المنصب ثلاثة عشر مرشحاً.

أنظر اللائحتان العامة والعالمية لجماعة الإخوان المسلمين بالموقع العام للجماعة (إخوان أون لاين).

(١١) اندلعت الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩ لتحول نظام الحكم في إيران من نظام ملكي يتربع على قمته الشاه «محمد رضا بهلوي» (١٩١٩ - ١٩٨٠)، إلى نظام جمهوري إسلامي شيعي. ويُعد المرجع الشيعي «آية الله الخميني»، أو «روح الله بن مصطفى بن أحمد الموسوي الخميني» (١٩٠٢ - ١٩٨٩) هو مؤسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وتتشكل الدولة من المرشد الأعلى للثورة الإسلامية والذي تتاط به مسؤولية الاشراف على السياسات العامة في الجمهورية الإسلامية، كما يتولى قيادة القوات المسلحة والاستخبارات، ويُنتخب المرشد الأعلى من قبل مجلس خبراء القيادة. يلي المرشد رئيس الجمهورية والذي ينتخب بالاقتراع الشعبي المباشر ويتأسس جلسات مجلس الوزراء ويشكل الحكومة.

(١٢) الجماعة الإسلامية في باكستان Jamaat-e-Islami Pakistan: جماعة إسلامية سنية تعمل في باكستان، وتتبنى المنهج السلمي. أسسها «أبو الأعلى المودودي» Abul A'la Maududi (١٩٠٣ - ١٩٧٩) في السادس عشر من أغسطس سنة ١٩٤١. وهي ذات فكر مشترك مع جماعة الإخوان المسلمين وتنتهج منهجها ذاته. يحكمها دستور مكتوب ينص على كافة أوجه وأساليب العمل الحزبي، ومنها أن تُعقد انتخابات كل خمس سنوات لانتخاب أمير للجماعة، وأن تُعقد انتخابات كل ثلاث سنوات لانتخاب أعضاء مجلس شورى الجماعة. كما يؤكد دستور الجماعة الإسلامية على أن أميرهم لا يعتبر أميراً للمؤمنين، بل يلقب فقط بالأمير. يرأسها منذ سنة ٢٠٠٩ وحتى الآن الشيخ سيد منور حسن (من مواليد سنة ١٩٤٤)، وكان قبلها أميناً عاماً للجماعة لمدة ١٥ عاماً، وقبلها رئيساً للجماعة في مدينة كراتشي، ورئيساً للجمعية الإسلامية للطلبة. وتبلغ القوة العددية للجماعة أكثر من ستة ملايين عضو مؤيد، وأكثر من خمسة وعشرين ألف عضو عامل.

(١٣) حزب الله (أو المقاومة الإسلامية) بجنوب لبنان: تنظيم سياسي عسكري متواجد على ساحة لبنان السياسية والعسكرية على مدى أكثر من عشرين عاماً، وقد اكتسب وجوده عن طريق المقاومة العسكرية للوجود الإسرائيلي خاصة بعد اجتياح بيروت العام ١٩٨٢. سبق الوجود التنظيمي للحزب وجود فكري وعقائدي للمرجع الشيعي «محمد حسين فضل الله» (١٩٣٥ - ٢٠١٠) من خلال نشاطه العلمي في الجنوب. وكان قيام الثورة الإسلامية في إيران سنة ١٩٧٩ بقيادة الخميني دافعا قوياً لنمو حزب الله، وذلك للارتباط المذهبي والسياسي بين الطرفين. ورغم عامل السرية الذي يحرص الحزب عليه في أغلب نشاطاته، فإن ذلك لم يمنعه من الإعلان عن

وجود بعض الهياكل التنظيمية التي تنظم عمل الحزب، منها على سبيل المثال: الهيئة القيادية، المجلس السياسي، المجلس التخطيطي، كتلة النواب، المجموعات التنفيذية، الهيئات الاستشارية، ... إلخ. كانت قيادة الحزب جماعية، إلى أن انتخب الأمين العام الأول له، وهو الشيخ «صبحي الطفيلي» (من مواليد سنة ١٩٤٨)، الذي تولى هذا المنصب في الفترة من سنة ١٩٨٩ حتى سنة ١٩٩١، ثم أُجبر على الاستقالة بعد إعلانه من جانب واحد العصيان المدني على الحكومة اللبنانية، الأمر الذي رفضه الحزب، وتولى منصب الأمين العام «عباس الموسوي» (١٩٥٢ - ١٩٩٢) خلفاً له، لكنه لم يستمر أكثر من تسعة أشهر، حيث اغتالته إسرائيل في العام ١٩٩٢، ليقود الحزب من بعده «حسن نصر الله» (من مواليد سنة ١٩٦٠)، الذي ما زال يشغل هذا المنصب حتى الآن. تميز حزب الله عن غيره من الأحزاب السياسية في الساحة اللبنانية بعملياته المسلحة ضد إسرائيل، والتي جعلته يخرج بمنطقاته السياسية والعقائدية النظرية إلى حيز التطبيق العملي، وأكسبته شرعية وشعبية لدى الشارع اللبناني بل وحتى لدى العرب والمسلمين أيضاً.

(١٤) حركة المقاومة الإسلامية (حماس): حركة جهادية فلسطينية ذات مرجعية إسلامية، تأسست في مدينة غزة بفلسطين على يد الشيخ «أحمد إسماعيل ياسين» (١٩٣٦ - ٢٠٠٤). يرتبط مؤسسوها فكرياً بجماعة الإخوان المسلمين. أصدرت حماس بيانها الأول في الرابع عشر من ديسمبر سنة ١٩٨٧ إبان الانتفاضة الفلسطينية التي اندلعت في الفترة من ١٩٨٧ وحتى ١٩٩٤، وفيه أعلنت أنها الذراع الضارب لجماعة الإخوان المسلمين. ثم صدر ميثاق الحركة في الثامن عشر من أغسطس سنة ١٩٨٨، حيث اعتبرت نفسها امتداداً لجماعة الإخوان المسلمين بفلسطين. وقبل إعلان

الحركة عن نفسها العام ١٩٨٧ كانت تعمل على الساحة الفلسطينية تحت اسم «المرابطون على أرض الإسرائ». لا تؤمن حماس بأي حق لليهود الذين أعلنوا دولتهم العام ١٩٤٨ في فلسطين، لكنها لا تمنع في القبول مؤقتاً، وعلى سبيل الهدنة، بحدود ١٩٦٧، دون الاعتراف لليهود الوافدين بأي حق لهم في فلسطين التاريخية. كما يمثل العمل العسكري توجهاً استراتيجياً للحركة لمواجهة المشروع الصهيوني في ظل غياب المشروع التحرري الإسلامي والعربي الشامل. وفي سنة ٢٠٠٥، قررت الحركة المشاركة في الانتخابات التشريعية الفلسطينية، وفي السادس والعشرين من يناير سنة ٢٠٠٦، تم الإعلان عن نتائج الانتخابات التي تمخضت عن فوز كبير لحركة حماس في المجلس التشريعي بواقع ٧٦ مقعد من أصل ١٣٢ مقعد، مما أعطى حماس أغلبية في المجلس، الأمر الذي يعكس نجاحها في تكوين قاعدة شعبية عريضة في الشارع الفلسطيني. على إثر ذلك، شكلت حماس حكومة برئاسة إسماعيل هنية (من مواليد سنة ١٩٦٣)، وواجهت على إثر ذلك ضغوطاً داخلية وخارجية لإفشالها، واندلعت بينها وبين حركة فتح صراعات دموية انتهت بسيطرة حماس على قطاع غزة، الأمر الذي دفع الرئيس الفلسطيني محمود عباس (من مواليد سنة ١٩٣٥) إلى الإعلان عن حل حكومة الوحدة الوطنية التي تشكلت بعد اتفاق مكة للمصالحة بين الحركتين (الثامن من فبراير سنة ٢٠٠٧)، وتكليف سلام فياض (من مواليد سنة ١٩٥٢) بتشكيل حكومة طوارئ. ولا يزال الخلاف بين الحركتين قائماً حتى الآن.

(١٥) حركة طالبان Taliban: حركة أفغانية إسلامية سنية أسسها «الملا عبد المجيد محمد عمر» (من مواليد سنة ١٩٥٩) في مدينة قندهار (جنوب

غرب أفغانستان - على الحدود مع باكستان) العام ١٩٩٤، بعد سقوط الجمهورية الديمقراطية الأفغانية المدعومة من قبل الإتحاد السوفييتي سنة ١٩٩٢. وتعني كلمة «طالبان» في اللغة البشتونية المستخدمة في أفغانستان طلاب العلم الشرعي، وهي جمع لكلمة طالب. أما «المُلا» فهو لقب أفغاني (بلغة البشتو، وهي كلمة ذات أصل فارسي) يُطلق على طالب العلم الشرعي بعد تخرجه، ويعني رجل الدين أو المعلم أو الشخص الذي يقوم بتدريس القرآن. ينتمي معظم أفراد حركة طالبان إلى القومية البشتونية التي يتركز معظم أبنائها في شرق وجنوب البلاد، ويمثلون حوالي ٤٨٪ من تعداد الأفغان البالغ قرابة ٢٧ مليون نسمة. كان الهدف الأساسي للحركة منذ نشأتها هو القضاء على الفساد واستعادة الأمن والاستقرار وجمع الأسلحة من جميع الأطراف إضافة إلى إزالة مراكز جمع الإتوات من الطرق العامة التي سلبت الناس أموالهم وانتهكت أعراضهم، لكن بعد أن استولت الحركة على عدد من الولايات ولقيت قبولاً مبدئياً لدى قطاعات عريضة من الشعب الأفغاني الذي أنهكته الحرب الأهلية، طورت الحركة من أهدافها ليصبح هدفها هو إقامة حكومة إسلامية كما صرح بذلك الملا «محمد عمر» في كلمته التي ألقاها أمام العلماء في قندهار في الرابع من أبريل سنة ١٩٩٦. وقد مثل يوم الحادي عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١ يوماً فاصلاً في تاريخ حركة طالبان، إذ اعتبرت الولايات المتحدة أفغانستان وحركة طالبان هدفاً أولياً لانتقامها، بعد أن رفضت الحركة تسليم بن لادن لعدم تقديم الأدلة التي تثبت تورطه. حتى ذلك التاريخ كانت طالبان تُسيطر على ما يقرب من ٩٥٪ من مساحة أفغانستان، وبعد غزو التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة، وبمساعدة تحالف الشمال (قوات المعارضة الأفغانية)، والذي بدأ في السابع

من أكتوبر من سنة ٢٠٠١، سقطت المدن الأفغانية تبعاً في أيدي قوات التحالف حيث تراجعت قوات طالبان عن معظم المدن دون قتال، فسقطت مزار الشريف وهرات وكابول في ١٣ نوفمبر، وقندوز في ٢٢ نوفمبر، وقندهار في ٧ ديسمبر، وتورابورا في ١٦ ديسمبر. وبعد فترة انتقالية تولى فيها حامد قرزاي (أو كرزي) Hamid Karzai رئاسة البلاد، أصبح هو ذاته رئيساً منتخباً (مدعوماً من الغرب) لجمهورية أفغانستان الإسلامية في السابع من ديسمبر سنة ٢٠٠٤.

(١٦) يثير استخدام كلمة أيديولوجيا Ideology هنا لوصف الإسلام (أو لوصف أي دين آخر) عدة إشكالات؛ فالأيديولوجيا اصطلاحاً «نمط من المعتقدات والأفكار والقيم المتعلقة بالجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية والأخلاقية التي تسود مجتمعاً ما في عصر ما، وتقوم بدور هام في تشكيل سلوك الفرد وحياة الجماعة، ويتضح تأثيرها بوجه خاص في الجماعات السياسية كالأحزاب». وإذا كانت الأيديولوجيا تشارك الأديان في تشكيل العلاقات الاجتماعية، فتوجد التحاماً عضوياً بين المعتقدين أو الأتباع، وإذا كانت تنشأ كما تنشأ الأديان من فرد على درجة عالية من الإبداع الفكري أو الروحي تتبعه صفوة أو أقلية مبدعة (الصحابة مثلاً في الإسلام، والحواريون في المسيحية، في مقابل أعضاء الحزب التابعين في الأيديولوجيا)، وإذا كانت كذلك تتطوي على مجموعة من المعايير تُعد قيماً مطلقة كما في الأديان، وتواجه في تطورها كما تواجه الأديان مشكلة الهوية بين الفكر والواقع، وتنتشر بالدعاية والإعلام مثلما تنتشر الأديان بالدعوة والتبشير... إلخ، إلا أن أوجه الاشتراك تلك لا تنفي وجود فروق جوهرية بينهما؛ من ذلك مثلاً أنه غالباً ما يتصدى لوضع الأيديولوجيا حُكام أو أصحاب نفوذ

ليسوا بمفكرين، وإنما يتخذون من القهر وسيلة لفرض الرأي، وهو ما يحدث غالباً في أعقاب الانقلابات العسكرية، الأمر الذي يترتب عليه العديد من الصراعات والتصفيات الجسدية، ومن هنا ذاعت عبارة «الثورة تاكل أبنائها». كذلك يحاول واضعوا الأيديولوجيات غالباً فرضها من أعلى على الرعية، مما يؤدي إلى موت الأيديولوجيا بموت المبشر بها، والأمثلة على ذلك كثيرة؛ فقد حاول «إخناتون» مثلاً فرض عقيدة التوحيد - مع سموها - فأخفق لأنه كان ملكاً، ولو كان كاهناً أو داعية دينياً لما انتهت بموته؛ وحاول الخليفة «المأمون» فرض عقيدة خلق القرآن، لكنه لقي مقاومة عنيفة من الحنابلة الذين أيدهم أغلب الناس، وظل الأمر كذلك طوال عهد «المأمون» و«المعتصم» و«الواثق»، إلى أن جاء الخليفة «المتوكل» فتبدل الحال تماماً؛ وحاولت الدولة الفاطمية أن تفرض عقيدة التشيع على المصريين، لكنها لقيت معارضة عنيفة وفشلت فشلاً ذريعاً رغم كثافة الدعاية. أخيراً لا تبلغ الأيديولوجيات من وجدان الناس وأفئدتهم ما تبلغه الأديان، ومن ثم لا تخلد كما تخلد الأديان، ولقد شهد عالمنا المعاصر فناء العديد من الأيديولوجيات (كالنازية والفاشية بعد الحرب العالمية الثانية، والشيوعية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي)، ومن الملاحظ أن مقاومة الشعوب لمن يحاولون فرض أيديولوجياتهم تتخذ عادة طابع التهكم والسخرية اللاذعة.

(١٧) تُعتبر المرحلة الأولى لجماعة الإخوان المسلمين، والتي استغرقت عقداً كاملاً بعد تأسيسها سنة ١٩٢٨، مرحلة بناء وفقاً لاستراتيجيتها، تقتصر على تكوين الكوادر والانتشار في طول البلاد وعرضها، وهو ما تطلب بالضرورة تجنب اتخاذ موقف سياسي محدد قد يعرض الجماعة للدخول في صراعات تهدد وجودها ذاته وهي لا تزال في مرحلة البناء. ومع بدء دخول المرحلة الثانية (مرحلة العمل السياسي) بدأت الجماعة في البحث عن قوة

دعم سياسي، ووجدت ضالتها في فكرة الخلافة التي جذبت الملك الشاب فاروق الأول (١٩٢٠ - ١٩٦٥)، فراحت تلعب على مغالته بها، ولقبت به بالملك الصالح، وكرست جهودها في إحياء فكرة تولي ملك مصر خلافة المسلمين، وإضفاء هالة دينية حول شخصه. وكانت هذه هي الأرضية التي جمعت الجماعة بالقصر، وبات الطريق ممهدًا لدخول الجماعة ميدان العمل السياسي، وهو ما تم الإعلان عنه صراحة في يناير ١٩٣٩. وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢، وما أعقبها من إلغاء للأحزاب السياسية وتعطيل العمل بدستور سنة ١٩٢٣ ثم إلغائه، لم يبق على المسرح السياسي المصري سوى جماعة الإخوان المسلمين، الذين كانت تربطهم علاقات قوية برجال الثورة، إلا أن الجماعة بالغت في تقدير قوتها ونفوذها، مما دفع بمجلس قيادة الثورة إلى إصدار قرار بحل الجماعة واعتقال كوادرها في الثاني عشر من يناير سنة ١٩٥٤. وبعد فترة هدوء اصطدم الرئيس «جمال عبد الناصر» (١٩١٨ - ١٩٧٠) بالإخوان صدامًا شديدًا نتيجة لمطالبة الإخوان لضباط الثورة العودة للثكنات وإعادة الحياة النيابية للبلاد، مما أدى إلى اعتقال عدد كبير منهم بعد محاولة اغتيال عبد الناصر في ميدان المنشية بالإسكندرية في السادس والعشرين من أكتوبر ١٩٥٤، وتعتبر جماعة الإخوان المسلمين محظورة منذ ذلك العام. ويعتبر الإخوان أن هذه الحادثة كانت مسرحية من قبل عبد الناصر للقضاء علي آخر معارضيه، وتم اعدام عدد من قيادات الجماعة المؤثرة.

(١٨) المقصود بالتقسيم هنا فصل مناطق الأغلبية المسلمة عن الهند، وتشكيل دولة مستقلة لهم أطلق عليها باكستان في الرابع عشر من أغسطس سنة ١٩٤٧.

(١٩) الإشارة هنا إلى انتخابات البرلمان المصري سنة ٢٠٠٥ التي ترشح لها من جماعة الإخوان المسلمين ١٦٠ مرشحاً كمستقلين، فاز منهم ثمانية وثمانون بعضوية المجلس، أي عشرون بالمائة من مقاعد المجلس، ليصبحوا أكبر كتلة معارضة في مصر. أما انتخابات سنة ٢٠١٠، فقد قررت الجماعة مقاطعة جولة الإعادة بها (التي كان مقرراً لها يوم الخامس من ديسمبر ٢٠١٠) اعتراضاً على ما لاقته الجماعة في الجولة الأولى من تزوير وإرهاب وعنف، وقد كان لسبعة وعشرين من أعضاء الجماعة حق الدخول في جولة الإعادة. أما بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١، وتأسيس الجماعة لحزب الحرية والعدالة، فقد خاض الحزب الانتخابات البرلمانية لسنة ٢٠١٢ ضمن التحالف الديمقراطي من أجل مصر، ونجح التحالف في الفوز بنحو ٤٧٪ من مقاعد مجلس الشعب، (حصد الإخوان والسلفيون ٣٦٥ مقعداً من إجمالي ٤٩٨ هو عدد النواب المنتخبين)، هذا فضلاً عن ٥٩٪ من مقاعد مجلس الشورى. إلا إن المحكمة الدستورية العليا المصرية أصدرت في الرابع عشر من يونيو ٢٠١٢ حكماً يقضي بعدم دستورية القانون الخاص بترشيح ثلث أعضاء البرلمان من المستقلين، مما أدى إلى حل البرلمان بالكامل. والحق أن مشاركة الإخوان في الانتخابات البرلمانية إنما ترجع إلى سنة ١٩٤٢، حين ترشح المرشد العام «حسن البنا» في دائرة الإسماعيلية، لكنه انسحب بعد ضغوط من الاحتلال الإنجليزي وحكومة النحاس باشا الوفدية. وفي أواخر سنة ١٩٤٤، عاود حسن البنا الترشح بدائرة الإسماعيلية، وعدد آخر من قيادات الإخوان في دوائر أخرى، لكنهم فشلوا في الفوز بأي مقعد نتيجة تدخل الاحتلال. وتوالت بعد ذلك مشاركات الجماعة في السباق الانتخابي ضمن تحالفات حزبية مختلفة حتى

تأسيس الحزب الخاص بها. من جهة أخرى، وفي السادس عشر من يونيو سنة ٢٠١٢ أجريت أول انتخابات رئاسية بعد الثورة، وأدت نتائج جولة الإعادة إلى فوز الدكتور «محمد مرسي» عضو مكتب الإرشاد ورئيس حزب الحرية والعدالة كأول رئيس مدني لمصر بعد ٨٤ عامًا من تأسيس الجماعة. وبعد عامٍ قضاه في الحكم، ونتيجة لسلسلة من الأخطاء السياسية، والارتياح المتبادل بين مؤسسات الدولة والجماعة، وتدهور الوضع المعيشي بصفة عامة، أدى الحراك الاحتجاجي الشعبي في الثلاثين من يونيو سنة ٢٠١٣ إلى تدخل الجيش حقناً للدماء، ومن ثم تم عزل الرئيس مرسي في الثالث من يوليو والإعلان عن خارطة طريق لإجراء انتخابات مبكرة مع فترة انتقالية تشرف عليها حكومة مدنية.

(٢٠) أسامة بن لادن (١٩٥٧ - ٢٠١١): نجل الملياردير السعودي «محمد بن عوض بن لادن»، وهو مؤسس وزعيم تنظيم القاعدة، وهو تنظيم سلفي جهادي مسلح أنشئ في أفغانستان سنة ١٩٨٨. زج بن لادن بتنظيم القاعدة في حروب ضد أعتى قوتين في العالم وهما الإتحاد السوفييتي والولايات المتحدة؛ حيث حارب الإتحاد السوفييتي إبان غزو أفغانستان، وحارب الولايات المتحدة حينما غزت العراق وأفغانستان. أعلن بالاشتراك مع «أيمن الظواهري» (من مواليد الزقازيق العام ١٩٥١) إنشاء ما عُرف باسم «الجبهة العالمية للجهاد ضد اليهود والصليبيين» سنة ١٩٩٨، والتي نجم عنها لاحقاً ما سُمي الحرب على الإرهاب أو الحملة الصليبية العاشرة. تمكنت القوات الخاصة الأمريكية - بمشاركة بعض عناصر المخابرات الباكستانية - من قتله في الثاني من مايو سنة ٢٠١١، بعد عملية دهم دامت لمدة أربعين دقيقة على قصر كان يختبئ به بمدينة أباد بباكستان.

(٢١) جماعة التكفير والهجرة: جماعة ظهرت في مصر سنة ١٩٧١ وأطلقت على نفسها اسم «جماعة المسلمين»، وتولى قيادتها وصياغة أفكارها ومبادئها رجل يدعى «شكري أحمد مصطفى عبد العال» (١٩٤٢ - ١٩٧٨)، كان طالبًا في كلية الزراعة، واعتقل سنة ١٩٦٥ بتهمة انتمائه إلى جماعة الإخوان المسلمين، وفي السجن تولدت أفكاره ونمت، وباعه أتباعه أميرًا للمؤمنين وقائدًا لجماعة المسلمين، وانتهى الأمر به إلى أن أُعدم هو وزملاؤه من قادة الجماعة عام ١٩٧٨ بتهمة اختطافهم واغتيالهم للدكتور محمد حسين الذهبي (١٩١٥ - ١٩٧٧)، الذي كان وزيرًا للأوقاف آنذاك. وأهم أصول الجماعة: تكفير مرتكب الكبيرة، كما هو مذهب الخوارج قديمًا، والطعن في الصحابة وردّ أقوالهم، والحد الأدنى من الإسلام (ويريدون بذلك أن الإسلام يتمثل في جملة من الفرائض التي يجب أدائها، فمن لم يؤديها أو قصر فيها أو ترك بعضًا منها فلا يعتبر مسلمًا، وهو فهم غريب شاذ لا أساس له ولا سند في الإسلام)، ومن أصولهم أيضًا قاعدة التبيين (ومعناها التوقف عن الحكم على من هو خارج الجماعة حتى يتبين حالهم والبيئة هي لزوم جماعتهم ومبايعة إمامهم، أو من ينوب عنه، فمن أجاب إليها كان مسلمًا ومن رفضها كان كافرًا. وقاعدة التبيين هذه شبيهة بمبدأ الاستعراض الذي قال به وطبقه الأزارقة من الخوارج)، وقاعدة تعارض الفرائض (وفيها قالوا بترك الجمعة لأنهم في مرحلة استضعاف، وأن من شروط الجمعة التمكين، وأباحوا لأنفسهم أعمالًا وممارسات لا سند لها من دين أو شرع تحت دعوى تعارض الفرائض وتقديم الهدف الأكبر المتمثل في إقامة الخلافة، على غيره من الأهداف)، وأخيرًا وليس آخرًا مفاصلة المجتمع

وهجرته (بمعنى المفاصلة التامة بينهم وبين مجتمع المسلمين الذي وصفوه بالجاهلية والكفر، والامتناع عن الزواج من أفراد هذا المجتمع) ... إلخ.

(٢٢) جماعة الجهاد (أو الجماعة الإسلامية في مصر): جماعة إسلامية دعوية نشأت داخل الجامعات المصرية في أوائل السبعينات من القرن الماضي على شكل جمعيات دينية، لتقوم ببعض الأنشطة الثقافية والاجتماعية البسيطة في محيط الطلاب، ونمت هذه الجماعة الدينية داخل الكليات الجامعية. كان للجماعة العديد من المواقف السياسية، منها موقفها من معاهدة كامب ديفيد وزيارة الشاه وبعض وزراء إسرائيل لمصر، حيث نظمت المؤتمرات والمسيرات ووزعت المنشورات خارج أسوار الجامعة للتثديد بذلك والمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية، مما أدى إلى تدخل الحكومة في سياسات الاتحادات الطلابية، فأصدرت لائحة جديدة لاتحادات الطلاب تعرف بلائحة ١٩٧٩ التي قيدت الحركة الطلابية. وازداد الضغط الإعلامي والأمني على قيادات الجماعة واشتدت مطاردتهم في جامعات الصعيد بوجه خاص، حيث تم اعتقال بعض قياداتهم وفصلهم من الجامعة كما تم اغتيال البعض على أيد الشرطة. لجأت الجماعة إلى استخدام العنف وسياسة التصفية الجسدية ضد رموز السلطة وقوات الأمن المصري طوال فترة الثمانينيات وفترات متقطعة من التسعينيات، لكن بعد ضربات أمنية متلاحقة من قبل الأمن المصري، والذي شمل اعتقال معظم أعضائها وضرب قواعدها، لم يعد للجماعة الآن وجود يُذكر. من أبرز أعضائها: الشيخ «عمر عبد الرحمن» (١٩٣٨ - ٢٠١٧)، الزعيم الروحي الجماعة، والذي تُوفي معتقلاً في سجون في الولايات المتحدة الأمريكية، و«عبود الزمر» (من مواليد سنة ١٩٤٧)، و«خالد الإسلامبولي» (١٩٥٨ - ١٩٨٢).

(٢٣) الوهابية: حركة إسلامية سياسية قامت في منطقة نجد وسط شبه الجزيرة العربية في أواخر القرن الثاني عشر الهجري (الموافق للثامن عشر الميلادي) على يد «محمد بن عبد الوهاب» (١٧٠٣ - ١٧٩٢) و«محمد بن سعود» حيث تحالفا لنشر الدعوة السلفية. وقد كانت بدايتهما في الدرعية (شمال غرب الرياض)، إذ أعلن «محمد بن عبد الوهاب» الجهاد، فشن سلسلة من الحروب (وكانوا يسمونها بالغزوات)، صادروا فيها أموال خصومهم (وكانوا يسمونها بالغنائم). اعتبرتهم مصادر عديدة أنهم بذلك خرجوا على الخلافة الإسلامية التي كانت تحت حكم العثمانيين. بينما اعتبرها الوهابية إقامةً لدولة التوحيد والعقيدة الصحيحة وتطهيراً لأمة الإسلام من الشرك. والتسمية بحدّ ذاتها يرفضها أتباع الحركة لاعتقادهم بأنها دعوة دينية وليست حركة سياسية، وأن «ابن عبد الوهاب» لم يتدع مذهباً جديداً، لكنه كان يدعو إلى ما كان عليه الصحابة والأئمة الأربعة من اتباع القرآن وسنة رسول الله في الإسلام؛ لذا فإنهم يفضلون تسميتهم بالدعوة السلفية، نسبة للسلف الصالح، أو بأهل السنة والجماعة، باعتبارهم الممثل الوحيد لأهل السنة بوجهة نظرهم. ويهدف المنهج السلفي وفقاً للجماعة إلى تنقية عقائد المسلمين، والتخلص من العادات والممارسات التعبدية التي انتشرت في بلاد الإسلام وتراها الوهابية مخالفة لجوهر الإسلام التوحيدي، مثل التوسل، والتبرك بالقبور وبالأولياء، والبدع بكافة أشكالها.

صلاح عثمان

الإسكندرية - البيطاش

نوفمبر ٢٠١٧

References

Samir Nouh, 'The Story of Islamic Fundamentalism', *Published in the Bulletin of the Institute of Foreign Affairs (Quadrant, Areas, Cultures and Positions), Institute of Foreign Affairs, Tokyo University of Foreign Studies, No 8, March 2006, pp.49 – 54. (International Symposium at Tokyo University of Foreign Studies on Religion and Fundamentalism, March 2006).*
